عناية السنة النبوية بتعظيم الشعائر

إعداد
خالد بن عبدالمعين الشريف

- أحمدك يا من عظم نفسه حق التعظيم.
- أحمدك ربي حمداً لا ينتهي أمده، ولا ينقضي مدده، ولا يُحصىٰ عدده.
- أحمدك لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت علىٰ نفسك.
- سبحانك وبحمدك، ما عبدناك حق عبادتك، ولا شكرناك حق شكرك، سبحانك وبحمدك.
- اللهم ارزقنا تعظيمك، وارضنا بقضائك.
- وارزقنا لذة النظر إليك، والشوق إلىٰ لقائك.

مُقَـدِّمَة

الحمد لله الذي كان عظيماً، وبالتشريع حكيماً، وعلىٰ عباده حليماً، بعث رسله وأنبيائه بالشرع آمرين، ولشرعه محكمين، ولشعائره معظمين.

صلِّ اللهم وسلم عليهم إلىٰ يوم الدين، أجمعين.

وبعد:

فلما كان الدين في الناس باقٍ ما بقيت فيهم شعائر الله، وزائل بزوالها؛ أمر الله بتعظيم شرعه وشعائره.

وتعظيم الله أجل العبادات، وأعظم القربات، بل هو القائد إلىٰ فعل الطاعات، وترك المنكرات.

ولما كان كذلك استلزم تعظيم ما شرعه الله وشعائره التي تدل علىٰ تعظيم الرب عز وجل.

ومن هذا المنطلق وقع الاختيار علىٰ موضوع (عناية السنة النبوية بتعظيم الشعائر)

لذا أحببت أن أُسهم بجهد المقل في هذا الموضوع.

هدانا الله سبيله القويم، وصراطه المستقيم.

تمهيـــد

إن الإيمان بالله – سبحانه وتعالىٰ- مبني علىٰ تعظيمه وإجلاله، ومحبته، قال تعالىٰ: (ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ) [نوح: آية ١٣].

قال سعيد بن جبير: «ما لكم لا تعظمون الله حق تعظيمه، وروح العبادة هو الإجلال والمحبة، فإذا تخلّىٰ أحدهما عن الآخر فسدت »[١].

إن الله تعالىٰ قد تكفل بحفظ دينه من التبديل والتحريف، وجعل من الأسباب الشرعية لذلك الحفظ، هذه الشعائر (الظاهرة) توارثتها الأمة عملياً من عهد أبي الأنبياء (إبراهيم) إلىٰ يومنا هذا.

ومن أهمية الشعائر في الإسلام وإعلانها أن الإنسان لا يحكم له بالإسلام إلا بها.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ صَلَّىٰ صَلَاتَنَا، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلَا تُخْفِرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ**»[٢].

ولقد جاءت السنة النبوية بمراعاة هذا الحق العظيم: «تعظيم الشعائر »، وهو منهج نبوي ربىٰ محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه أصحابه، وعلى استشعار عظمة الله في نفوسهم.

لذا أحببت أن يكون بحثي عن (مراعاة السنة النبوية في تعظيم الشعائر).

وقد تم جمع مادة البحث من كتاب: (جامع الأصول)، لابن الأثير.

و(صحيح الجامع وزيادته)، للسيوطي، انتقاء ناصر الدين الألباني.

---

(١) مدارج السالكين في منازل السائرين، لابن القيم (٤٩٥/٢)، ط. دار طيبة.

(٢) صحيح الجامع رقم (٣٨٥)، وهذه الأعمال المذكورة في الحديث هي من الشعائر الظاهرة.

خطـــة البحث

وقد قسمت البحث إلىٰ:

- مقدمة.
- وتمهيد.
  - **وثلاثة فصول:**
- الفصل الأول: الشعائر.

وفيه ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول: تعريف الشعائر.**
- **المبحث الثاني: أقسام الشعائر.**
- **المبحث الثالث: مقاصد الشريعة إلىٰ تعظيم شعائر الله.**

- الفصل الثاني: معالم تعظيم الشعائر الظاهرة.

وفيه ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول: تعظيم الأركان والواجبات.**

وتحته أربعة مطالب:
المطلب الأول: تعظيم التوحيد في النفوس.
المطلب الثاني: تعظيم الصلاة.
المطلب الثالث: تعظيم الصدقة.
المطلب الرابع: تعظيم الحج.

- **المبحث الثاني: تعظيم الواجبات وفروض الكفايات.**

وتحته ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: تعظيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
المطلب الثاني: تعظيم الجهاد في سبيل الله.
المطلب الثالث: تعظيم إقامة الحدود.

- **المبحث الثالث: تعظيم شعائر الفطرة الظاهرة.**

وفيه مطلبان:
المطلب الأول: إعفاء اللحية.
المطلب الثاني: الحجاب.

- الفصل الثالث : مسائل متعلقة بالشعائر:

وتحته خمسة مباحث:

- **المبحث الأول: ارتباط الشعيرة بالرمز.**
- **المبحث الثاني: تعطيل الشعائر.**
- **المبحث الثالث: تعظيم الله ورسوله في نفوس الصحابة.**
- **المبحث الرابع: الوسائل لتعظيم الشعائر.**
- **المبحث الخامس: الآثار المترتبة علىٰ تعظيم الشعائر.**

- الخاتمة:

وتشمل:

- **أهم النتائج.**
- **أهم التوصيات.**

- المصادر والمراجع.
- الفهارس.

الفصل الأول

الشعـــــــــــــــائر

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: تعريف الشعائر.
- المبحث الثاني: أقسام الشعائر.
- المبحث الثالث: مقاصد الشريعة إلى تعظيم شعائر الله.

المبحث الأول
تعريف الشعائر

قال ابن فارس: «الشين والعين والراء أصلان معروفان يدل أحدهما علىٰ ثبات والآخر علىٰ عِلم وعَلم، فالأول الشعر معروف، والجمع أشعار، وهو جمع جمع، والواحدة: شعرة.
والباب الآخر الشعار الذي يتنادىٰ به القوم في الحرب ليعرف بعضهم بعضاً.
والأصل قولهم: شعرت بالشيء إذا علمته وفطنته له، وليت شعري: أي ليتني علمت.
ومشاعر الحج: مواضع المناسك، سميت بذلك لأنها معالم الحج.
والشعيرة واحدة الشعائر وهي أعلام الحج وأعماله.
قال الله جل جلاله: (ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ) [البقرة: آية ١٥٨].
ويقال: الشعيرة أيضاً البدنة تهدىٰ.
ويقال: إشعارها أن يجز أصل سنامها حتىٰ يسيل الدم فيعلم أنها هدي [١].
وقال ابن منظور: «وشِعارُ العساكر أَن يسموا لها علامة ينصبونها ليعرف الرجل بها رُفْقَتَه، وفي الحديث: (إِن شِعارَ أَصحاب رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان في الغَزْوِ: يا مَنْصُورُ أَمِتْ أَمِتْ)، وهو تفاؤل بالنصر بعد الأَمر بالإِماتة ... وشِعارُ القوم: علامتهم في السفر، وأَشْعَرَ القومُ في سفرهم: جعلوا لأَنفسهم شِعاراً، ... والإِشْعارُ الإِعلام، والشِّعارُ العلامة، قال الأَزهري: ولا أَدري مَشاعِرَ الحجّ إِلاَّ من هذا لأَنها علامات له، وأَشْعَرَ البَدَنَةَ: أَعلمها، وهو أَن يشق جلدها أَو يطعنها في أَسْنِمَتِها في أَحد الجانبين بِمِبْضَعٍ أَو نحوه، وقيل: طعن في سَنامها الأَيمن حتىٰ يظهر الدم ويعرف أَنها هَدْيٌ، وهو الذي كان أَبو حنيفة يكرهه وزعم أَنه مُثْلَةٌ، وسنَّة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحق بالاتباع... والشَّعِيرة البدنة المُهْداةُ، سميت بذلك لأَنه يؤثر فيها بالعلامات، والجمع شعائر، وشِعارُ الحج: مناسكه وعلاماته وآثاره وأَعماله، جمع شَعيرَة، وكل ما جعل عَلَماً لطاعة الله عز وجل كالوقوف والطواف والسعي والرمي والذبح وغير ذلك، ومنه الحديث: (أَن جبريل أَتىٰ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال مر أُمتك أَن يرفعوا أَصواتهم بالتلبية فإِنها من شعائر الحج)، والشَّعِيرَةُ والشِّعارَةُ ... والمَشْعَرُ كالشِّعارِ ، وقال اللحياني شعائر الحج مناسكه، واحدتها شعيرة، وقوله تعالىٰ: (ې ې ې ى ى ئا) [البقرة: آية ١٩٨] هو مُزْدَلِفَةُ، وهي جمعٌ تسمىٰ بهما جميعاً، والمَشْعَرُ: المَعْلَمُ والمُتَعَبَّدُ من مُتَعَبَّداتِهِ، والمَشاعِرُ: المعالم التي ندب الله إِليها وأَمر بالقيام عليها، ومنه سمي المَشْعَرُ الحرام؛ لأَنه مَعْلَمٌ للعبادة وموضع، قال: ويقولون هو المَشْعَرُ الحرام والمِشْعَرُ، ولا يكادون يقولونه بغير الأَلف واللام، وفي التنزيل: (ۀ ہ ہ ہ ھ) [المائدة: آية ٢]، قال الفرّاء: كانت العرب عامة لا يرون الصفا والمروة من الشعائر ولا يطوفون بينهما، فأَنزل الله تعالىٰ: (ہ ہ ھ) [المائدة: آية ٢]، أَي: لا تستحلوا ترك ذلك، وقيل: شعائر الله مناسك الحج، وقال الزجاج: في شعائر الله يعني بها جميع متعبدات الله التي أَشْعرها الله أَي جعلها أَعلاماً لنا، وهي كل ما كان من موقف أَو مسعىٰ أَو ذبح، وإِنما قيل شعائر لكل علم مما تعبد به لأَن قولهم شَعَرْتُ به علمته، فلهذا سميت الأَعلام التي هي متعبدات الله تعالىٰ شعائر، والمشاعر: مواضع المناسك [٢].
خلاصة ما مر: أن الشعائر هي الأعلام والرموز الظاهرة التي ندب الله – عز وجل – إلىٰ القيام بها؛ بجعلها أعلاماً ومنارات للهدىٰ ودين الحق.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (١٩٤/٣).
(٢) لسان العرب، لابن منظور: (٤١٤/٤).

المبحث الثاني
أقسام الشعائر

تنقسم الشعائر باعتبارين:

الأول: باعتبار ظهورها وخفائها (ظاهرة وباطنة) [١].

الثاني: باعتبار وجوبها وعدمه إلىٰ:

١- شعائر واجبة كالصلوات الخمس، والحج، والصيام، والوضوء، وغيرها.
٢- شعائر مستحبة، كالتلبية، وسوق الهدي وتقليده، وغيرها.
٣- مختلف فيها، كالأذان، والأضحية، والختان، وغيرها[٢].

والمعنِيُّ بالبحث هنا: «الشعائر الظاهرة، والرموز الواضحة»[٣].

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم، للنووي (٨٦/٣)، وهذا هو المعنِيّ بالحديث هنا.
(٢) ينظر: تحفة المودود بأحكام المولود، لابن القيم الجوزية، (ص١٧٢).
(٣) قال الزيلعي: «والشعائر مبناها علىٰ الإشهار والإظهار، دون الخفاء ...».تبيين الحقائق: (٢٢٤/١).

المبحث الثالث
مقاصد الشريعة لتعظيم شعائر الله

مما حثت عليه الشريعة الغراء، وكان من مقاصدها، ما أوجبته علىٰ المكلفين من تعظيم شعائر الله (الظاهرة والباطنة)، إذ كان قصد الشريعة من ذلك كلِه تعظيم نفسِه (سبحانه وتعالىٰ)، وإجلاله وتوقيره بما يليق بذاته العليّة.

ولقد فهم النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا المقصد المهم، والمطلب الشريف المنيف حق الفهم في نفسه، وظهر علىٰ أصحابه من خلال حثهم علىٰ تعظيم الله عز وجل في النفوس.

وهذا المقصد (تعظيم الشعائر) عمل قلبي يصلح به حال المرء ومآله؛ ولذا كان من مقتضىٰ تعظيم شعائر الله تقواه التي أمر بها عباده [1].

وبتحقيق هذا المقصد (تعظيم الشعائر) تتحقق أمر كثيرة منها:

١- تعظيم الرب وإجلاله في النفوس.
٢- أن التعظيم يقود النفس إلىٰ فعل الأوامر وترك النواهي.
٣- بعث الطمأنينة في قلب العبد.

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ الآية [سورة الحج: آية ٣٢]، وقد جاءت هذه الآية في معرض آيات الحج، وبالتحديد بعد التحذير من الإشراك بالله، وفيها ملحظ مهم، وهو أن شعائر الله تكون بالإتيان بالأوامر، ومنها (فعل المناسك) كما أمر الله، وحث رسوله علىٰ الاقتداء به في ذلك المشعر وتلك الشعيرة (الظاهرة)، ويتمثل ذلك في إخلاصها لله تبارك وتعالىٰ بتجريد التوحيد له فيها وفي غيرها من الطاعات.
ولذا كان من مقاصد الحج العظمىٰ تعظيم وتجريد التوحيد لله، وهذا واضح في صفة حجة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
فلذا ناسب أن يُذكّر بالتعظيم هناك.

الفصل الثاني

معـــــــالم تعظيم الشعائر الظاهرة

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: تعظيم الأركان والواجبات.
- المبحث الثاني: تعظيم الواجبات وفروض الكفايات.
- المبحث الثالث: تعظيم شعائر الفطرة الظاهرة.

المبحث الأول
تعظيم الأركان

المطلب الأول
تعظيم ?لتوحيد في ?لنفوس

أعظم ما يعظمه العبد تعظيم ربه جل وعز، وإجلاله وتوقيره، والخضوع له، والتذلل لكبريائه.

ومهما تكلم المتكلمون، وألّف المؤلفون، وأورد الموردون في ذكر ما يجب علىٰ العبد من تعظيم العبد لربه سبحانه وتعالىٰ فلن يوفوه (ولو مثقال ذرة) من حقه، إذ هو العالم بما هو له من الثناء والإجلال والتقدير والعظمة والكبرياء.

ولذا قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ**»[(١)].

ومن تعظيم الله جل وعلا قَدْر التعظيم ما أثبته لنفسه من العظمة والقدرة والسلطان والجبروت ما يَقدِرُ علىٰ أن يطويَ السموات بيمينه ويقبض الأرضين بيده الأخرىٰ.

فعن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**أَنَّ يَهُودِيًّا جَاءَ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالْخَلَائِقَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ثُمَّ قَرَأَ:** (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ) [الأنعام: آية٦١]»[(٢)].

والله هو السيد الصمد الذي تصمد له الخلائق، ويصغر أمامه كل متكبر وجبار.

قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **يَطْوِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟**»[(٣)].

ومن تعظيم العبد لربه استشعاره أن الله مطلع عليه، لا يغيب عنه من حاله شيء؛ لأنه مالك ومَلِكٌ للكون بأسره.

ولذا استشعر ذلك الحبيب المصطفىٰ في وقت المحاسبة عند خلود العبد لراحته ونومه، وعلّم ذلك أصحابه فقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ، وَالْإِنْجِيلِ، وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنْ الْفَقْرِ**»[(٤)].

ولما كان السيد لا يريد من عبده إلا ما أراده هو وجب علىٰ العبد وجوباً لا حيدة عنه عدم فعل ما يغضب سيده ومولاه، ولذا يغضب السيد (سبحانه) من العبد لما لا يسأله حاجاته؛ لأنه لا غنىٰ للعبد عن سيده.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ لَمْ يَدْعُ اللهَ غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ**»[(٥)].

ولا يحصل تعظيم الرب في النفوس إلا بكمال وتجريد التوحيد له (سبحانه) وذلك بذكره والثناء عليه

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ، رقم (٤٤٩)، ومسلم في صحيحه، رقم (٤٨٦)، من حديث عائشة وأبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُما.

(٢) أخرجه البخاري في الجامع، رقم (٧٠١٣)، ومسلم (٢٧٨٦).
وجاء في بعضها فضحك تعجباً وتصديقاً له، خ (٦٩٧٨).

(٣) خ (٧٤١٣)، م (٢٧٨٨).

(٤) م (٢٧١٣).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وإسناده حسن (٩٧١٧).

بصفات ونعوت الجلال والكمال، وتنزيهه عن نعوت وصفات النقص – جل وعز –.

ولذا كان يقول المصطفىٰ في ركوعه قدر سورة البقرة: «**سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ**»(١).

وقد عظم الله توحيد العبادة في نفوس العباد، وكان من تعظيمه تعظيم أمر الشهادتين (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

ومن تعظيمها حرمة قتال أهلها، وبحرمة دمائهم وأموالهم ويكونون بذلك قد دخلوا في الإسلام.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ: يَقُوْلُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ**»(٢).

كل هذا يدل علىٰ تعظيم هاتين الشهادتين في النفوس، كيف لا؟ وهي الفارق بين الكفر والإسلام، ولقائلها حقوق كثيرة، منها بعض ما ذُكر.

إن غياب فكرة تعظيم شعيرة التوحيد في النفوس يجدد رجوع الوثنية، بل حتىٰ بأسمائها القديمة!!

قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**صَارَتْ الْأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي الْعَرَبِ بَعْدُ، أَمَّا وَدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الْجَنْدَلِ، وَأَمَّا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهُذَيْلٍ، وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجَوْفِ عِنْدَ سَبَإٍ، وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ، وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لِآلِ ذِي الْكَلَاعِ، أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَىٰ الشَّيْطَانُ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ أَنْ انْصِبُوا إِلَىٰ مَجَالِسِهِمْ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ**»(٣).

ولذا لما غابت هذه الحقيقة (تعظيم التوحيد في النفوس) بعثت الرسل لتجديد التوحيد، فإن النَّاس خلقوا من زمن آدم علىٰ التوحيد الخالص، ومكثوا عليه عشرة قرون علىٰ ذلك الحال، ثم وقع الشرك في زمن نوح(٤).

ومن تعظيم الله – جل وعلا – تعظيم ما جاء به أنبياؤه ورسله؛ لأن دينهم واحد.

ولذا قال المصطفىٰ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّىٰ وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**»(٥).

ومن صور تعظيم الأنبياء والمرسلين تحذيره صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المفاضلة بينه وبين سائر الأنبياء، ومع هذا فهو أفضلهم.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللهِ**»(٦).

بيد أنه حفظ لكل نبي حقه وفضله.

فقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن إبراهيم عليه السلام لما قيل له: يا خير البرية، فقال: «**ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ خَلِيْلُ اللهِ**»(٧).

---

(١) أخرجه أبو داود (٨٧٣)، والنسائي (١٠٤٩) بإسناد جيد.

(٢) خ (٢٥)، م (٢٢).

(٣) خ (٤٦٣٦).

(٤) قال ابن عباس – رَضِيَ اللهُ عَنْهُما –: «كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم علىٰ شريعة من الحق، فلما اختلفوا بعث الله النبيين والمرسلين، وأنزل كتابه، فكانوا أمة واحدة».
المستدرك علىٰ الصحيحين، رقم (٣٦٥٤)، قال الحاكم: حديث صحيح علىٰ شرط البخاري ولم يخرجه.

(٥) خ (٣٢٥٩)، والعلاّت: هم أولاد الرجل من نسوة شتىٰ؛ سميت بذلك لأن الذي تزوج أخرىٰ علىٰ أولىٰ قد كانت قبلها ناهل ثم علَّ عن هذه. ينظر: مختار الصحاح (١٨٩/١).

(٦) خ (٣٢٣٣)، م (٢٣٧٣).

(٧) م (٢٣٦٩).

وقال عن يوسف – عليه السلام – : «**إِنَّ الْكَرِيمَ ابْنَ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ**»(١).

وكذلك حفظ لموسىٰ - عليه السلام - حقه بقوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَىٰ بَاطِشٌ بِجَانِبِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ، أَوْ كَانَ مِمَّنْ اسْتَثْنَىٰ اللهُ عزَّ وجلَّ؟** »، **ثم ذكر قوله: «لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللهِ**»(٢).

فالأنبياء دعوتهم واحدة، وإن اختلفت تفاصيل شرائعهم، ولذا كان من أركان الإيمان: الإيمان بالرسل إجمالاً وتفصيلاً.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الإِيْمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ...**» الحديث(٣).

وأفضلهم محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال عن نفسه: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٤).

وإنما كان أفضلهم – لاسيما – في ذلك اليوم الطويل، والمشهد المخيف، للجوء الناس إليه، حتىٰ يقضىٰ الله بينهم، قال: «**فَأَنْطَلِقُ حَتَّىٰ أَسْتَأْذِنَ عَلَىٰ رَبِّي ...**» الحديث(٥).

وأكبر معجزة أعطيها خيرُ البشر: القرآن الكريم، كلام الله – عز وجل -، ولما كان القرآن دستور الحياة، **ورمز من رموزها، وشعار من شعائرها** جاءت نصوص الوحيين – ولاسيما- ما نحن بصدده بالأمر بتعظيمه وإجلاله وتوقيره، كيف؟ وهو كلام الله – عز وجل – وأعظم ما يعظم العبد به هذا الشِعار والرمز العملُ بما جاء فيه، من إحلال حرامه، وتحريم حرامه، إذ هو الغاية العظمىٰ من إنزاله.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ، أُلْبِسَ وَالِدَاهُ تَاجًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ضَوْءُهُ أَحْسَنُ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ فِي بُيُوتِ الدُّنْيَا لَوْ كَانَتْ فِيكُمْ، فَمَا ظَنُّكُمْ بِالَّذِي عَمِلَ بِهَذَا؟**»(٦).

لذا فَهِمَ أصحابُ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك، فقد قال أبو عبدالرحمن السلمي: «**حَدَّثَنَا مَنْ كَانَ يُقْرِئُنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتَرِئُونَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ فَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْأُخَرَىٰ حَتَّىٰ يَعْلَمُوا مَا فِي هَذِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، قَالُوا: فَعَلِمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ**»(٧).

ومن تعظيم كلام الله (المصحف) نهي النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُسافر العبد به إلىٰ أرض العدو.

قال ابن عمر – رَضِيَ اللهُ عَنْهُما –: «**نَهَىٰ رَسُولُ اللهِ أَنْ يُسَافَرَ بِالْقُرْآنِ إِلَىٰ أَرْضِ الْعَدُوِّ**»(٨).

وبيّن العلة في ذلك، فقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تُسَافِرُوا بِالْقُرْآنِ فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَنَالَهُ الْعَدُوُّ**»(١).

---

(١) خ (٣٢٠٢).
(٢) خ (٢٢٧٩)، م (٢٣٧٣).
(٣) م (١٨).
(٤) م (٢٢٧٨).
(٥) خ (٤٢٠٦)، م (١٩٣)، وهو الحديث العظيم حديث الشفاعة، الذي يبين عِظَمَ قدر المصطفىٰ عند الله عز وجل.
(٦) أخرجه أبو داود في سننه، رقم (١٤٥٣)، من طريق أحمد بن السرح، عن ابن وهب، عن يحيىٰ بن أيوب، عن زبان بن فايد، عن سهل بن معاذ الجهني، عن أبيه به.
وهذا الحديث ضعيف، آفته زبان بن فائد، ومن المعلوم أن الغاية من إنزال القرآن الكريم العمل بما جاء فيه، قال عز وجل: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ الآية [سورة ص: آية ٢٩]، لكن الأمر المذكور في الحديث لا يصح!!، فإن زبان منكر الحديث جداً، وإن كان من أهل الصلاح والعبادة!.
(٧) أخرجه أحمد في مسنده (٢٣٥٢٩)، بإسناد حسن.
(٨) خ (٢٨٢٨)، م (١٨٦٩).

قال أيوب: فقد ناله العدو، وخاصمكو به [٢].
كل هذا يدل علىٰ تعظيم كلام الله من أن يهان.
ومن تعظيمه – أيضاً – عدم مس القرآن إلا علىٰ طهارة.
قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لعمرو بن حزم: «**لِعَمْرِو بْنِ حَزْمٍ أَنْ لَا يَمَسَّ الْقُرْآنَ إِلَّا طَاهِرٌ**»[٣].
وأحد قسمي التوحيد الواجب تعظيمه= (تعظيم الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، وأعلىٰ صور التعظيم لهذا النبي تعظيم أوامره ونواهيه، إذ هي وحي أوحاه الله إليه.
ولذا جاء التحذير منه فيمن لم يهتد بهديه وسننه.
قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا أَعْرِفَنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ يَأْتِيهِ الأَمْرُ مِنْ أَمْرِي، ممَّا أَمَرْتُ بِه، أَوْ نَهَيْتُ عَنْه، وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَىٰ أَرِيكَتِهِ ، فَيَقُولُ : مَا نَدْرِي مَا هذا؟ عِنْدَنَا كتابُ الله، وليسَ هذا فيهِ، وما لِرَسُولِ الله أنْ يَقُولَ ما يُخَالِفُ القُرآنَ، وبِالقُرآنِ هَداه اللهُ** »[٤].
ولذا كان الذي جاء به النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مأموراً بالتمسك به، مع كتاب الله – عز وجل –.
قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ**»[٥].
ثم إن الأمة إن لم تنقذ وتستجب له – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فإن الهلاك لاحقٌ بها، والعذاب نازل عليها.
قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَىٰ قَوْمًا، فَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ، فَالنَّجَاءَ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَأَدْلَجُوا فَانْطَلَقُوا عَلَىٰ مَهَلِهِمْ فَنَجَوْا، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنْ الْحَقِّ**»[٦].
ومن تعظيم هذا النبي وتوقيره حب أولئك الرجال الذين شاهدوا الوحي وعايشوه، فكانوا خير جيل وصحب لخير نبي.
وقد نهىٰ عن سبهم، والتنقص من شأنهم، فقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي**»[٧].
بل جعلهم النبي درعاً حصيناً واقياً لرد كل فتنة، وإبطال كل ضالة في الأمة.
قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتْ النُّجُومُ أَتَىٰ السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَىٰ أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَىٰ أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ** »[٨].

---

(١) م (١٨٦٩).
(٢) م (١٨٦٩)، بل قد ذهب بعض العلماء إلىٰ أبعد من ذلك في التعظيم، في تعليق النهي عن قراءة القرآن حال الركوع والسجود، لعلو كلام الله الذي ينافيه حال الخضوع والذل له سبحانه وتعالىٰ في الركوع والسجود!!
انظر: تعظيم قدر الصلاة (٢٣٨/١).
(٣) أخرجه مالك في الموطأ، رقم (٤٦٩)، وكتاب عمرو بن حزم تلقىٰ بالقبول وهو وجاده صحيحه. انظر: كتاب عمرو بن حزم، لحمد العثمان.
(٤) أخرجه أبو داود (١٦٠٥)، والترمذي (٢٦٦٣)، وابن ماجه (١٣)، كلهم من طريق سفيان بن عيينة، عن أبي النضر، عن عبدالله بن رافع، عن أبيه به. وهو إسناد حسن.
(٥) أخرجه مالك في الموطأ (١٥٩٤).
(٦) خ (٦٨٥٤)، م (٢٢٨٣).
(٧) خ (٣٤٧٠)، م (٢٥٤٠).
(٨) م (٢٥٣١)، وفضائل أصحاب رسول الله أشهر من أن تذكر، بل لقد أُلفت فيها مصنفات مستقلة.

المطلب الثاني
تعظيم ؟لصلاة

دعوة الرسل جاءت بأمرين:

الأول: تجريد التوحيد الخالص لله، والتحذير من الشرك بأنواعه.

وهذا واضح لا يحتاج إلىٰ دليل.

الثاني: الأمر بالصلاة.

وهي آكد أركان الإسلام، وشعائره الجسام، وهي الرمز العظيم علىٰ الدين.

والرسل قد جاءت بهذين الأصلين العظيمين، ودعت إليه أقوامها [١].

وهذا إن دلّ فإنما يدل علىٰ مباينتها لسائر الأعمال – سوىٰ التوحيد - ، ويتمثل تعظيم هذه الشعيرة الظاهرة (إقامة الصلاة) في الآثار التي رتبها الله عليها من:

١- تكفيرها للذنوب والآثام، ورفعتها للدرجات لمن أتىٰ بها علىٰ وجهها، وقام بها خير قيام.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسُ مرَّاتٍ، مَا تَقُولُ ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيء؟ فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِا الْخَطَايَا**»[٢].

وقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَطَهَّرُ فَيُتِمُّ الطُّهُورَ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَيُصَلِّي هَذِهِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَاتٍ لِمَا بَيْنَهَا**»[٣].

وقال في الرجل الذي أصاب حداً يريد أن يقيمه عليه: «**أَرَأَيْتَ حِينَ خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِكَ، أَلَيْسَ قَدْ تَوَضَّأْتَ فَأَحْسَنْتَ الْوُضُوءَ؟ قَالَ: بَلَىٰ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: ثُمَّ شَهِدْتَ الصَّلَاةَ مَعَنَا؟، قَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ حَدَّكَ، أَوْ قَالَ ذَنْبَكَ**»[٤].

وجاءت نصوصٌ خاصةٌ تدل علىٰ وجوب تعظيم صلاة بعينها، كصلاة العصر، والفجر.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّىٰ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا يَعْنِي الْفَجْرَ وَالْعَصْرَ** »[٥].

وقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ صَلَّىٰ الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[٦].

وحث صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ صلاة الجماعة في المساجد.

وصلاة الجماعة في بيوت الله من الشعائر الظاهرة، التي لم تُبنَ المساجد إلا لأجل إدراك الرجال لها (الشعيرة) فيها (المساجد).

وصلاة الجماعة من المعالم الظاهرة، الدالة علىٰ تعظيم المرء قدر شعيرة الصلاة في نفسه.

وبترك هذه الشعيرة الظاهرة تزول بعض مقاصد شرعية صلاة الجماعة، وبتركها يكون قد استحوذ الشيطان – نعوذ بالله منه – عليهم.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ لَا تُقَامُ فِيهِمْ الصَّلَاةُ، إِلَّا قَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمْ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ** »قَالَ زَائِدَةُ : قَالَ السَّائِبُ: **يَعْنِي بِالْجَمَاعَةِ الصَّلَاةَ فِي الْجَمَاعَة** »[٧].

---

(١) بين الله في كتابه العزيز ذلك من خلال الآيات الدالية علىٰ أن الصلاة كانت من شعائر الأنبياء والمرسلين الظاهرة بدأً من أبي الأنبياء (إبراهيم) وحتىٰ خاتمهم (محمد) عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين.
راجع كتاب: تعظيم قدر الصلاة، لمحمد بن نصر المروزي (٩٦/١).

(٢) خ (٥٠٥)، م (٦٦٧).

(٣) م (٢٣١).

(٤) م (٢٧٦٥)، والأحاديث في فضل الصلاة عموماً كثيرة مشتهرة. لكن أحببت أن أذكر طرقاً منها. ينظر: جامع الأصول (١٨٣/٥)، وما بعدها.

(٥) م (٦٣٤).

(٦) خ (٥٤٠)، م (١٠٠٥).

(٧) أخرجه أبو داود (٥٤٧)، والنسائي (٨٤٧)، وإسناده صالح.

ولِمَا لهذه الشعيرة (الظاهرة) الدالة علىٰ وحدة المسلمين وترابطهم، والمقاصد المترتبة عليها= جاءت النصوص النبوية في الحث علىٰ الصلاة في جماعة المسلمين.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً**»(١).

وقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صَلَاةٌ مَعَ الْإِمَامِ أَفْضَلُ مِنْ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ صَلَاةً يُصَلِّيهَا وَحْدَهُ**»(٢).

وحث عليها – أيضاً – بالمشي إليها بمضاعفة الحسنات، وحط الذنوب.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ مَشَىٰ إِلَىٰ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ كَانَتْ خَطْوَتَاهُ إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً وَالْأُخْرَىٰ تَرْفَعُ دَرَجَةً**»(٣).

كل هذا يدل علىٰ أن الاجتماع لهذه الشعيرة (شعيرة بذاته)، وهو مقصد جاءت الشريعة بالمحافظة عليها من خلال النصوص الدالة علىٰ تعظيمه بالحث علىٰ إقامته.

ويحصل بهذا الاجتماع الذي ندب الله إليه مقصد شرعي مهم، من جهة الاجتماع والألفة، والترابط بين المسلمين.

ومما له علاقة بصلاة الجماعة ذلك المكان الذي يجتمع فيه المصلون لأداء فريضة الله فيه، وهي أفضل بقاع الله، إذ هي بيوته.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَحَبُّ الْبِقَاعِ إِلَىٰ اللهِ الْمَسَاجِدُ**»(٤).

وهي أماكن تقام وتظهر فيها شعيرة عظيمة (الصلاة).

وقد أولىٰ الشارع المساجد عناية فائقة، مما كان له بالغ الأهمية في إظهاره وتعظيم هذه الرموز، ومن ذلك:

- الأمر بتنظيفها من القاذورات والنجاسات.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ**»(٥).

وقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **الْبُزَاقُ فِي الْمَسْجِدِ خَطِيئَةٌ وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا**»(٦).

ونهىٰ عن قُربها في حال أكل ما له رائحة كريهة تؤذي.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا فَلْيَعْتَزِلْنَا، أَوْ قَالَ: فَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا، وَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ**»(٧).

بل وشرفها أن تقام فيها الحدود؛ لمنافاتها لما بنيت له.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **لَا تُقَامُ الْحُدُودُ فِي الْمَسَاجِدِ**»(٨).

ومن تعظيمها عدم إنشاد الضالة فيها.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **مَنْ سَمِعَ رَجُلًا يَنْشُدُ ضَالَّةً فِي الْمَسْجِدِ، فَلْيَقُلْ: لَا رَدَّهَا اللَّهُ عَلَيْكَ، فَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهَذَا**»(٩).

ولما كان الشارع الحكيم قد رتب علىٰ الشعيرة العظيمة (الصلاة) تلك الأجور والحسنات، وتكفيرها السيئات، لم يترك الجانب المقابل المضيع لها، أو التارك لها، فقد جاءت النصوص النبوية الدالة علىٰ إثم تاركها، وإلحاق أشد العقوبة به، وذلك دليل علىٰ عِظَم جُرم تاركها، وعظيم قدرها.

---

(١) خ (٦١٩)، م (٦٥٠).
(٢) م (٦٤٩).
(٣) م (٦٦٦).
(٤) م (٦٧٠).
(٥) م (٢٨٥).
(٦) خ (٤٠٥)، م (٥٥٢).
(٧) خ (٨١٦)، م (٥٦٤).
(٨) أخرجه الترمذي (١٤٠١)، وابن ماجه (٢٥٩٩)، وإسناده حسن لغيره.
(٩) م (٥٦٨).

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ**»[١].
وقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»[٢].
وقال في صلاة العصر: « **مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ**»[٣].
وقال في الجمعة (الشعار الظاهر): « **مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمَعٍ تَهَاوُنًا بِهَا طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قَلْبِهِ**»[٤].
ومن المعلوم أن فرض الصلاة كان له طابع خاص، وهذا مما يزيد تعظيمها في نفوس العباد، وكأن الشارع الحكيم أراد من العباد أن يستشعروا عظم هذه الشعيرة (الظاهرة) فلذا لم يفرضها في الأرض، بل ندب نبيه للصعود إلىٰ السماء السابعة حتىٰ تفرض عليه، حتىٰ كلمه ربه وفرضها عليه في حادثة الإسراء والمعراج (المعجزة المشهورة)، بل تكرم علىٰ عباده فجعلها خمساً في الفعل، وخمسين في الأجر[٥].
ولذا كانت (الصلاة) أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة.
قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ النَّاسُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ الصَّلَاةُ**»[٦].
ولقد كان من عظمها وتعظيمها يكون ا لمفزع إليها عند الشدائد، والملاذ عند الكروب، والملجأ عند المدلهمات، ولذا شرعت صلاة الكسوف أو الخسوف.
قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْعُوا اللَّهَ وَكَبِّرُوا وَصَلُّوا وَتَصَدَّقُوا**... » الحديث[٧].
وفزع النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة بدر يناشد ربه، ويطلبه النصر في الصلاة.
قال علي – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – : «**لَقَدْ رَأَيْتُنَا لَيْلَةَ بَدْرٍ وَمَا مِنَّا إِنْسَانٌ إِلَّا نَائِمٌ إِلَّا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ كَانَ يُصَلِّي إِلَى شَجَرَةٍ وَيَدْعُو حَتَّى أَصْبَحَ** »[٨].
ومما يدل علىٰ عِظَم هذه الشعيرة أن المحافظ عليها يشهد له بالإيمان.
قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **إِذَا رَأَيْتُمْ الرَّجُلَ يَتَعَاهَدُ الْمَسْجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ**»[٩].
ولقد كانت هذه الشعيرة العظيمة (الظاهرة) آخرَ وصية المصطفىٰ لأمته.
قد جاء عن غير واحد من الصحابة قولهم: «**كَانَ آخِرُ كَلَامِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ** »[١٠].
وفَرِحَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في مرض موته لما رأىٰ أصحابه مجتمعين يؤمهم أبو بكر الصديق[١١].
ومن تعظيم هذه الشعيرة الاستعدادُ لها بالنظافة والنزاهة الحسية والمعنوية، لذا شُرع الوضوء، وهو في حد ذاته شعيرة لشعيرة، لذا جُعل شرطاً للصلاة، لا تصح الصلاة إلا به.
قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **لَا تُقْبَلُ صَلَاةُ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّىٰ يَتَوَضَّأَ**»[١].

---

(١) م (٨٢).
(٢) أخرجه ابن ماجه (١٠٧٩)، والنسائي (٤٦٣)، وإسناده حسن.
(٣) خ (٥٢٨)، م (٦٩٤).
(٤) أخرجه أبو داود (١٠٥٢)، والنسائي (١٣٦٩)، وإسناده حسن.
(٥) خ (٣٤٢)، م(١٦٢).
(٦) أخرجه أبو داود (٨٦٤)، والترمذي (٤١٣)، وابن ماجه (١٤٢٥)، كلهم من طريق سفيان بن حسن، عن عن علي بن أبي زيد، عن أنس بن حكيم الضبي، عن أبي هريرة، وهو إسناد حسن بمجموع طرقه.
(٧) خ (٩٩٧)، م (٩٠١).
(٨) سنن النسائي الكبرىٰ (٨٢٣).
(٩) أخرجه الترمذي (٢٦١٧) وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٨٠٢)، كلاهما من حديث أبي الهيثم، عن أبي سعيد به، وهو إسناد يحسن لشواهده.
(١٠) أخرجه النسائي (٧٠٩٤)، وابن ماجه (٢٦٩٧) بإسناد حسن.
(١١) خ (٦٤٨)، م (٤١٩).

ورتب عليه الأجر العظيم.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ...**»[٢].

ومما له علاقة كبيرة لتعظيم شعيرة الصلاة، شعيرة ظاهرة – أيضاً – وهي ما ينادىٰ به لها (الأذان).

إن الأذان إعلام بالتوحيد، ودعوة للفلاح، لذا كان إعلاماً وإشعاراً ونداءً للصلاة.

ولما كان الأذان دليل إيمان الناس؛ وذلك بجعله معلناً ظاهراً غير خفي، **كان النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا غزا بأصحابه لم يغزو ويبدأ القتال حتىٰ تحضر الصلاة، فإن سمع الأذان كف، وإلا بدأهم بالقتال**، كما أخبر بذلك أنس بن مالك[٣].

ومما له علاقة بعموم شعيرة الصلاة (الظاهرة) ما يتجدد بتجدد الزمان، وهو شعار من شعار أهل الإسلام، وهو صلاة العيدين.

ومن صور تعظيم هذه الشعيرة التي أولاها الشارع أهمية الخروج إلىٰ الصلاة والخطبة، ودعوة المسلمين ماشياً.

فقد قال علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: « **مِنْ السُّنَّةِ أَنْ تَخْرُجَ إِلَىٰ الْعِيدِ مَاشِيًا** »[٤].

والمخالفة في الطريق ذهاباً وإياباً.

فقد كان النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا كان يوم عيد خالف الطريق، كما رواه عنه جابر بن عبدالله[٥].

بل أمر بخروج النساء والصبيان إليها، كل ذلك لإظهار الفرح والسرور بهذه الشعيرة.

قالت أم عطية: «**أمرنا النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نُخرج في العيد العَوَاتِقُ ذوات الخدور، وأمر الحُيَّضَ أن يشهَدْنَ الخير ودعوة المسلمين، ويعتزل الحُيَّضُ المصَلَّي**»[٦].

وهذا العيدان شعاران لأهل الإسلام ظاهران، أباح الله إظهار مشاعر العبادة بشكر الله – عز وجل – وإظهار الفرح والسرور.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **قَدْ أَبْدَلَكُمْ اللهُ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا يَوْمَ الْفِطْرِ وَيَوْمَ النَّحْرِ**»[٧].

ومن تلك الشعائر الظاهرة ما ندب إلىٰ إقامته أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – وهو صلاة التراويح (قيام رمضان).

وهو من الشعائر الظاهرة التي ندب إليها المصطفىٰ؛ لكن خشي علىٰ أمته أن تفرض عليهم، فلم يصلها جماعة.

قالت عائشة – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا –: « **إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّىٰ فِي المسْجِدِ، فَصَلَّى بِصَلَاتِه نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِه، فَلَمَّا عَلِمَ بِهِمْ جَعَلَ يَقْعُدُ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: قَدْ عَرَفْتُ الَّذِي رَأَيْتُ مِنْ صَنِيعِكُمْ، فَصَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ**... » الحديث[٨].

وفي ندبه – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لإظهارها بمشروعية الاجتماع لها دليل علىٰ تعظيمها.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ صَلَّىٰ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّىٰ يَنْصَرِفَ حُسِبَ لَهُ قِيامُ لَيْلِه**»[٩].

---

(١) خ (١٣٥)، م (٢٢٥).

(٢) خ (١٣٦)، م (٢٤٦)، ووردت أحاديث جمة تدل علىٰ ما رتب من أجر عظيم علىٰ الوضوء.

(٣) خ (٥٨٥).

(٤) أخرجه الترمذي (٥٣٠)، قال أبو عيسىٰ: حديث حسن.

(٥) خ (٩٤٣).

(٦) خ (١٥٦٩)، م (٨٩٠).

(٧) أخرجه أحمد في مسنده (١٢٠٢٥)، بإسناد حسن.

(٨) خ (٦٩٨)، م (٧٦١).

(٩) أخرجه أبو داود (١٣٧٥)، والترمذي (٨٠٦)، قال أبو عيسىٰ: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي (١٣٦٤)، وابن ماجه (١٣٢٧).

وقد فهم المُحدَّث المُلهَم مقصد الشريعة في تعظيم هذه الشعيرة في ذلك الشهر الفاضل بجمع الناس علىٰ أبي بن كعب[1].

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٢٥٠).

المطلب الثالث

تعظيم ؟لصدقة

لما كان الخفاء في بذل الصدقة هو الأصل، كان ثمّ جانب فيه إظهار لشعيرة الصدقة، هذا الإظهار كونها أحد أركان الإسلام (الظاهرة)، قال أبو بكر الصديق: « **وَاللهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَىٰ مَنْعِهَا**»[1].

هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن ثمّ نوع من الصدقة (واجبة) جاءت نصوص الشريعة بإظهارها وعدم إخفائها، ولم تظهر شعيرة الصدقة إظهاراً معلناً (كصدقة الفطر).

ويتمثل ذلك في إيجابها علىٰ الحر والعبد، والذكر والأنثىٰ، والكبير والصغير.

قال ابن عمر: فرض رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زكاة الفطر صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير، علىٰ العبد، والحر، والذكر، والأنثىٰ، والصغير، والكبير من المسلمين، وأمر بها أن تؤدىٰ قبل خروج الناس إلىٰ الصلاة »[2].

وفي إخراجها وقت الخروج لصلاة العيد، ما يظهرها شعيرةً يراها الكبير والصغير.

---

(١) خ (١٣٣٥)، م (٢٠).

(٢) خ (١٤٣٢)، م (٩٨٤).

المطلب الرابع
تعظيم ؟لحـــــــج

إن مما بقي من الشعائر (الظاهرة) من إرث الأنبياء (الحج)، وقد دعا إليه الأنبياء والرسل لتوحد دعوتهم؛ وإن اختلف شيءٌ من أحكامه عند البعض، لكن الحج إرث توارثه الأبناء عن الآباء، والأحفاد عن الأجداد[١].

فإبراهيم أبو الأنبياء، وهو من بدأ هذه الشعيرة ببناء بيت الله في حرم الله.

ولذا قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث الإسراء والمعراج: «**قَالَ إِبْرَاهِيْمُ لِلنَّبِيِّ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالِابْنِ الصَّالِحِ** »[٢].

ولذا كان من الواجب تعظيم هذه الشعيرة في النفوس؛ لأنها مما بقي من إرث النبوة، وقد أصبحت بذلك رمزاً وشعاراً يجب المحافظة عليه وتعظيمه.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُونُوا عَلَىٰ مَشَاعِرِكُمْ، فَإِنَّكُمْ عَلَىٰ إِرْثٍ مِنْ إِرْثِ إِبْرَاهِيمَ**»[٣].

ولما غاب التوحيد عن أهل مكة حل الشرك محله، ولم يبق من إرث الحنيفية سوىٰ شعيرة الحج، ومع هذا كان يخالطه شرك، ولم يخلص علىٰ التوحيد، فهو ممارسة من الشرع المبدل.

لذا بعث النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا بكر وعلي في العام الذي قبل حجة الوداع بعدم حج الناس وهم باقون علىٰ الشرك.

قال: «**لَا يَحُجَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ** »[٤].

وهذا كله من تخليص للحج من الوثنية التي علقت في أصله المبني علىٰ التوحيد.

والحج كله امتداد لرمز من الرموز التي دعا إليها نبي الله إبراهيم – عليه السلام – بأمر الله – عز وجل -، وظل الأنبياء من بعده علىٰ تجديد هذا الشعار مما ورثوه من أبيهم.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ مُوسَىٰ - عَلَيْهِ السَّلَام - هَابِطًا مِنْ الثَّنِيَّةِ وَلَهُ جُؤَارٌ إِلَىٰ اللَّهِ بِالتَّلْبِيَةِ** »[٥].

وقال في يونس: «**كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ يُونُسَ بْنِ مَتَّىٰ - عَلَيْهِ السَّلَام - عَلَىٰ نَاقَةٍ حَمْرَاءَ جَعْدَةٍ، عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ، خِطَامُ نَاقَتِهِ خُلْبَةٌ، وَهُوَ يُلَبِّي** »[٦].

وقال عن عيسىٰ: « **لَيُهِلَّنَّ ابْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرَّوْحَاءِ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا أَوْ لَيَثْنِيَنَّهُمَ** »[٧].

لذا أراد النبي أن يساير إخوته من الأنبياء المرسلين في الاستمرار علىٰ تجديد دعوة أبيهم (إبراهيم) – عليهم أجمعين الصلاة والسلام – .

<u>ويتمثل تعظيم هذه الشعيرة في أمور:</u>

<u>الأول</u>: تعظيم البيت (الكعبة).

هذا البيت الذي ندب إلىٰ بناءه نبيه إبراهيم وابنه إسماعيل – عليهما السلام – أراد الله أن يكون له بيت يأمه الناس من كل مكان، يكون شعاراً ورمزاً لهم، فلذا كان هذا البيت المبارك، وأراد من العباد

---

(١) قال الله عز وجل: (مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ) [سورة الحج: آية ٧٨]، هذه الآية جاءت في ختم سورة الحج، وهو إشعار بأن هذه الشعيرة هي من بواقي التوحيد، والملة الحنيفية التي بقيت آثارها ولم تندرس.
انظر كتاب: إبراهيم أبو الأنبياء لعباس محمود العقاد.

(٢) خ (٣٤٢)، م (١٦٣).

(٣) أخرجه أبو داود (١٩١٩)، والنسائي (٣٠١٤) بإسناد حسن.

(٤) خ (٣٦٢)، م (١٣٤٧).

(٥) م (١٦٦).

(٦) م (١٦٦).

(٧) م (١٢٥٢).

تعظيمه وتوقيره واحترامه، ومن تعظيمه:

أن من أراد به سوءاً عذبه الله قبل الوصول إليه.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنْ الْأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ** »[1].

ولا يقصد مكان للعبادة بعينه سوىٰ ما تُشد له الرحال، وهي المساجد الثلاثة.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا لِثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ**» ، وذكر منها مسجد الكعبة[2].

بل إن الخيريّة تُنزع من الأمة في عدم تعظيمها بيت الله – عز وجل -.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ بِخَيْرٍ مَا عَظَّمُوا هَذِهِ الْحُرْمَةَ حَقَّ تَعْظِيمِهَا فَإِذَا ضَيَّعُوا ذَلِكَ هَلَكُوا**»[3].

ومن تعظيم ما كان يجول في خلَد النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حبه للتوجه إلىٰ البيت حال الصلاة = ما وافق ما قدره ربه، فتحول في الصلاة إلىٰ الكعبة.

قال البراء: صلَّىٰ رسول الله قِبَل بيت المقدس ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَل البيت»[4].

ومن تعظيمها (الكعبة) الزجر عن استقبالها واستدبارها حال قضاء الحاجة.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ ، وَلا تَسْتَدْبِرُوهَا بِغَائِطٍ ، وَلا بَوْلٍ؛ ولَكِنْ شَرِّقُوا وَغَرِّبُوا**»[5].

ومن تعظيمها أن النبي أراد أن يُعيد ميراثَ أبيه (إبراهيم) في نقضه الكعبة، وإعادة بنائها علىٰ بناء إبراهيم لكن منعه من ذلك حداثة قومه بالكفر.

قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعائِشَةَ: « **لَوْلَا حَدَاثَةُ عَهْدِ قَوْمِكِ بِالْكُفْرِ لَنَقَضْتُ الْكَعْبَةَ وَلَجَعَلْتُهَا عَلَىٰ أَسَاسِ إِبْرَاهِيمَ...** »[6].

ومما يدل علىٰ تعظيم البيت في نفس النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: والتقدير والإجلال له: إنكاره علىٰ مَنْ قال يوم الفتح: اليوم تُستحل الكعبة، قال راداً عليه: « **هَذَا يَوْمٌ يُعَظِّمُ اللهُ فِيهِ الْكَعْبَةَ...** »[7].

حتىٰ أهلُ الجاهلية كانوا يعظمون البيت ويوقرونه ويجلونه[8].

كل هذا يدل علىٰ تعظيم البيت، وتوقيره، وإجلاله، واحترامه، ومع ذلك فإن هذا الرمز لم يكن يوماً من الأيام رمزاً للوثنية، بل هو شعار للتوحيد، وإقامة شعائر الله وتعظيمها في حرمه.

ولذا فهم الصحابة أنها (الكعبة وما فيها) لا تنفع ولا تضر بذاتها، بل فهموا من ذلك التعظيم أنها شعار للتوحيد، وإجابةً لنداء الله الذي بلغه رسله بدأً من إبراهيم وختماً بمحمد.

قال عمر بن الخطاب عندما قبَّل الحجر الأسود: « **وَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ** »[9].

ومما له علاقة بتعظيم البيت تعظيم ما هو أوسع وهو (البلد الحرام).

ومن تعظيم هذا البلد الحرام أن تحريمَه من الله – عز وجل –، وهذا أبلغ في التعظيم والحرمة،

---

(١) خ (٢٠١٢)، م (٢٨٨٣).

(٢) م (١٦٢).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١٨٢٧١)، وأخرجه ابن ماجه في سننه (٣١٠١).

(٤) خ (٤٠)، م (٥٢٥).

(٥) خ (١٤٤)، م (٣٨٦).

(٦) خ (١٥٠٩).

(٧) خ (٤٠٣٠).

(٨) ويدل علىٰ ذلك: توقيهم جمع المال الحلال لبناء الكعبة.
انظر: مصنف عبدالرزاق (٩١٠٦)، ومسند إسحاق بن راهويه (١٧٢٠)، وقصة عبدالمطلب مع إبرهة الحبشي. انظر: البداية والنهاية (٢٧٩/٣).

(٩) خ (١٥٢٠).

لعِظَم المحرِّم – سبحانه وتعالىٰ – .

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَكَّةَ فَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي** »[1].

وكانت مكة (البلد الحرام) أحب البقاع إلىٰ الله عز وجل.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **وَاللهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَىَ اللهِ**»[2].

وقد حرم الله القتال فيه، وجعله بلداً آمناً.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **... فَإِنَّ هَذَا بَلَدٌ حَرَّمَه اللهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ، إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ** ...»[3].

وهي مستمرة إلىٰ يوم القيامة (الحرمة).

ولقد عادت الحرمة إليه، وأصبح بلداً إسلامياً صرفاً، وبذلك يظهر عود التعظيم له.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ** ...»[4].

ومما يدل علىٰ تعظيمها تحريم حمل السلاح فيها، حتىٰ يكتمل الأمان.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَحِلُّ لِأَحَدِكُمْ أَنْ يَحْمِلَ السِّلَاحَ بِمَكَّةَ** »[5].

ومن عَظمة هذه البلد أمانُ الحيوان والشجر فيه.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**... لَا يُنَفَّرُ صَيْدُهَا، وَلَا يُعْضَدُ شَوْكُهَا، وَلَا يُخْتَلَىٰ خَلَاهَا**...»[6].

وهذا يدل علىٰ أن تعظيم البلد الحرام إنما هو ناشئٌ عن تعظيم الرمز الذي في ذلك الوادي (الكعبة) التي أوجب الله المجيء إليها بنداء إبراهيم.

ومن تعظيم هذه الشعيرة (الحج) = تعظيم المواقف والشعائر الظاهرة كالوقوف بعرفة، والمشعر الحرام، ومنىٰ، ورمي الجمار، والسَّعي بين الصفا والمروة، والطواف بالبيت.

كل هذه شعائر أمر الله بتعظيمها، ولما كانت هذه المواقف من إرث النبوة (الإبراهيمية)، والمعالم التوحيدية التي أمر الله بالوقف عليها؛ لأنها تدل علىٰ رمز وشعار من شعائر الله التي أمر رسله أن يبلغوها للناس، ويتوارثوها جيلاً بعد جيل.

لذا أرسل النبيُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمرَ بن عبدالله بن صفوان إلىٰ الناس بالموقف من عرفة، وقال: إني رسولُ رسولِ الله إليكم يقول: «**كُونُوا عَلَىٰ مَشَاعِرِكُمْ، فَإِنَّكُمْ عَلَىٰ إِرْثٍ مِنْ إِرْثِ إِبْرَاهِيمَ**»[7].

ولقد كان الوقوف بهذه المشاعر مما بقي من الشريعة الحنيفية، ولهذا كان كفار قريش والعرب يحُجون؛ لكنهم لا يقفون ببعض المواقف، فخالفهم النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتحديد ما ورثه عن أبيه إبراهيم – عليهم الصلاة والسلام – .

قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهُا: «**كَانَتْ قُرَيْشٌ وَمَنْ دَانَ دِينَهَا يَقِفُونَ بِالْمُزْدَلِفَةِ، وَكَانُوا يُسَمَّوْنَ الْحُمْسَ، وَكَانَ سَائِرُ الْعَرَبِ يَقِفُونَ بِعَرَفَاتٍ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَأْتِيَ عَرَفَاتٍ، ثُمَّ يَقِفَ بِهَا، ثُمَّ يَفِيضُ مِنْهَا**...»[8].

بل لم يحصر المواقف بموقف معين، بل جعل كل المواقف مواقف وشعائر يجب تعظيمها.

---

(١) خ (١٧٣٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٩٢١)، وقال: حديث حسن غريب صحيح، وابن ماجه (٣١٠٨)، وإسناده حسن.

(٣) خ (١٧٣٧)، م (١٣٥٣).

(٤) خ (١٧٣٧)، م (١٣٥٣).

(٥) م (١٣٥٦)، وهذا محمول علىٰ عدم الحاجة، أما عندها فيجوز، كما بوب له النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٣٠/٩).

(٦) خ (٤٠٥٩)، م (١٣٥٥).

(٧) أخرجه الترمذي (٨٨٣)، وأبو داود (١٩١٩)، والنسائي (٣٠١٤)، وابن ماجه (١٣٠١١)، وهو حديث حسن.

(٨) خ (٤٢٤٨)، م(١٢١٩).

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نَحَرْتُ هَاهُنَا وَمِنًى كُلُّهَا مَنْحَرٌ فَانْحَرُوا فِي رِحَالِكُمْ وَوَقَفْتُ هَاهُنَا وَعَرَفَةُ كُلُّهَا مَوْقِفٌ وَوَقَفْتُ هَاهُنَا وَجَمْعٌ كُلُّهَا مَوْقِفٌ**»(١).

ومما استقر في نفوس الصحابة مما أبقته الحنيفية من معالم وشعائر الحج التي أمر الله بتعظيمها: السعي بين الصفا والمروة، وهو شعيرة ظاهرة، يظهر فيها تعظيم الله بتعظيم الأمر الذي أمر به نبيه (إبراهيم) وزوجه هاجر وابنهما إسماعيل.

لذا لما استقر ذلك في نفوس الصحابة، واستشعروا تعظيم الله في ذلك الموقف وأرادوا أن يعظموه بالسعي بين الصفا والمروة، رأوا أنهم يناقضون بسعيهم التعظيم؛ لوجود الصنمين فوق رأس كل من الصفا والمروة (إساف ونائلة)، فلما تحرَّجوا من ذلك، نفىٰ الله عنهم الحرج، وأمرهم أن يعظّموا هذه الشعيرة بالطواف عليهما، والسعي بينهما.

قالت عائشة: «**إِنَّ الْأَنْصَارَ كَانُوا يُهِلُّونَ لِمَنَاةَ، وَكَانَتْ مَنَاةُ حَذْوَ قُدَيْدٍ، وَكَانُوا يَتَحَرَّجُونَ أَنْ يَطُوفُوا بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: (ڈ ڈ ڈ ژ) الآية** [البقرة: آية ١٥٨] »(٢).

وقد أجمل النبيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه المواقف والشعائر، وأنها إنما شرعت لإقامة ذكر الله، وتعظيمه في النفوس؛ ولتذكيرهم بفعل الأنبياء والمرسلين بما أعطوه من تعظيم لله ولشعائره، حتىٰ يتقدوا بهم.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **إِنَّمَا جُعِلَ الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ وَبِالصَّفَا وَالمَرْوَةِ وَرَمْيُ الْجِمَارِ لِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**»(٣).

وفي ختم المناسك كُلِّها عند صدور الحاج قافلاً إلىٰ أهله بالتوديع بطواف الوداع = دليلٌ علىٰ استشعار هذا التعظيم في نفس الحاج، بتوديع هذا الشعار حتىٰ يكون العبد علىٰ ذكر له.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُمِرَ النَّاسُ أَنْ يَكُونَ آخِرُ عَهْدِهِمْ بِالْبَيْتِ إِلَّا أَنَّهُ خُفِّفَ عَنْ الْحَائِضِ**»(٤).

ومن تعظيم شعيرة الحج ما عظمه الله بجعله العبد مُحرماً حال التلبس بالنسك، وهي ما يسمىٰ (محظورات الإحرام).

إن من تعظيم هذه الشعيرة وقوف العبد عند ما حذّر منه الله ورسوله من فعله حال النسك، وهو تمرين وتعويد للمؤمن علىٰ تعظيم أوامر الله ونواهيه في كل حياته.

ولقد استشعر الصحابة ذلك حال نُسكهم، وكان يعظمون النسك.

فلقد مرَّ النبيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ كعب بن عُجْرة، والقمل يتناثر علىٰ وجهه، «**فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَحْلِقَ رَأْسَهُ وَيَفْدِي**»(٥).

ومن صور تعظيم الصحابة لمحظورات الإحرام محظور قتل الصيد.

قال أبو قتادة: «**كُنْتُ يَوْمًا جَالِسًا مَعَ رِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَنْزِلٍ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَازِلٌ أَمَامَنَا، وَالْقَوْمُ مُحْرِمُونَ، وَأَنَا غَيْرُ مُحْرِمٍ، فَأَبْصَرُوا**

---

(١) أخرجه أبو داود (١٩٠٧).

(٢) خ (١٦٩٨)، م (١٢٧٧).

(٣) أخرجه أحمد (٢٤٣٩٦)، وأبو داود (١٨٨٨).
وهو حديث حسن لغيره لشواهده. وانظر: العلل للدارقطني (١٢٢/١٥).

(٤) خ (١٦٦٨).

(٥) خ (٣٩٥٤٤)، م (١٢٠١).
والدلالة عليه: أن النبي هو الذي مر عليه، ورأىٰ الأذىٰ قد بلغ منتهاه، ولم يرد في الروايات أن كعباً هو الذي طلب منه حلقَ رأسه، وهذا يدل علىٰ تعظيم أوامر الله ونواهيه خلال النسك، وعلىٰ وجه العموم – أيضاً – .

حِمَارًا وَحْشِيًّا وَأَنَا مَشْغُولٌ أَخْصِفُ نَعْلِي، فَلَمْ يُؤْذِنُونِي بِهِ وَأَحَبُّوا لَوْ أَنِّي أَبْصَرْتُهُ، وَالْتَفَتُّ فَأَبْصَرْتُهُ، فَقُمْتُ إِلَىٰ الْفَرَسِ فَأَسْرَجْتُهُ، ثُمَّ رَكِبْتُ وَنَسِيتُ السَّوْطَ وَالرُّمْحَ، فَقُلْتُ لَهُمْ: نَاوِلُونِي السَّوْطَ وَالرُّمْحَ، فَقَالُوا: لَا وَاللَّهِ لَا نُعِينُكَ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ، فَغَضِبْتُ فَنَزَلْتُ فَأَخَذْتُهُمَا، ثُمَّ رَكِبْتُ فَشَدَدْتُ عَلَىٰ الْحِمَارِ فَعَقَرْتُهُ... » الحديث [١].

ومن شعائر الحج التي أمر العبد أن يعظمها رفع الصوت بالتلبية.

وإظهار الصوت وإعلانه بالتلبية فيه تعظيم لله ولشعائره، ولذا كانت شعاراً للأنبياء السابقين.

فموسىٰ رآه النبيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هابطاً له جؤار بالتلبية[٢].

وعيسىٰ يهل آمّ البيت[٣].

ويونس يهل بالتلبية[٤].

وهذا يدل علىٰ أن التلبية هي تجريد للتوحيد.

قال جابر: أهل بالتوحيد[٥].

ولذا جاء الأمر من الله بتعظيم هذه الشعيرة، بأمر النبي أصحابه أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **جَاءَنِي جِبْرِيلُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ مُرْ أَصْحَابَكَ فَلْيَرْفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّلْبِيَةِ فَإِنَّهَا مِنْ شِعَارِ الْحَجِّ** »[٦].

ومن الشعائر الظاهرة في الحج إهداء النذر والقربان، وإراقة الدماء لله عز وجل، وهو إرث من إرث أبينا إبراهيم، وشعار ورمز للاستجابة لله ولأمره، عندما فدىٰ ابنه (عليهم السلام) وهو شكر لله علىٰ بلوغ العبد بلد الله عز وجل.

ومن صور تعظيم هذه الشعيرة ما فعله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من إشعار هديه، وتعليق النعال عليه، وهو دليل علىٰ أن هذه البدن مهداة لله عز وجل، ببلوغ بيته، وهي شعار للحج[٧].

---

(١) خ (٢٤٣١)، م (١١٩٦).
(٢) م (١٦٦).
(٣) م (١٢٥٢).
(٤) م (١٦٦).
(٥) أخرجه أحمد في مسنده (١٤٤٨٠).
(٦) أخرجه أحمد (٢١٧٢٢)، وابن ماجه (٢٩٢٣)، وهو حسن لغيره لشواهده، ومن شدة استجابتهم قول يعقوب بن حازم أن أصحاب رسول الله لم يبلغوا الروحاء حتىٰ بحَّت أصواتهم من التلبية. انظر: مصنف ابن أبي شيبة (١٥٠٥١).
(٧) خ (١٦٠٨)، م (١٣٢١).

المبحث الثاني
تعظيم فروض الكفايات

المطلب الأول
تعظيم ؟لأمر بالمعروف و؟لنهي عن ؟لمنكر

إن من أوجب واجبات المسلم علىٰ أخيه النصح لـه بـأمره بـالمعروف ونهيـه عن المنكر، ولقد كـان تعظيم هذه الشعيرة منبثق عن التكافل الاجتمـاعي الذي هو صـمام الأمـان لـرد عذاب الله عن العبـاد، بـرد الظالم عن ظلمه، والنصح لمن يخالف أمر الله.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَىٰ حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَىٰ سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَىٰ مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا**»[1].

ولقد كان بعض ما أصاب الأمم السابقة هو تركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَمَّا وَقَعَ النَّقْصُ فِي بَنِي إِسْرَائِيْلَ كَانَ الرَّجُلُ يَرَىٰ أَخَاهُ عَلَىٰ الذَّنْبِ فَيَنْهَاهُ عَنْهُ، فَإِذَا كَانَ الْغَدُ لَمْ يَمْنَعْهُ مَا رَأَىٰ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَخَلِيطَهُ، فَضَرَبَ اللهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ**»[2].

وهذا يدلّ علىٰ أن الأمة لابّد لها من جِدار منيع يصد عنها كل منكر، وينشر فيها كل فضيلة، ولذا كان هذا شعار من شعائر الإيمان الظاهرة.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِه، وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِه، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ**»[3].

---

(١) خ (٢٣٦١).
(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٤٨)، وهو حسن الإسناد.
(٣) م (٥٠).

المطلب الثاني

تعظيم ؟لجهاد في سبيل ؟لله

لقد كان إظهار دين الله وإعلائه مقصداً دعا الله إليه بأمره نبيه بالقيام به؛ حتىٰ يكون الإسلام مهيمن علىٰ كل الأديان.

ولذا كانت هذه الشعيرة في قمة أمور الإسلام الظاهرة، التي حث عليها الشارع بالقيام بها.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ذُرْوَةُ سَنَامِ الْإِسْلَامِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**»(١).

ولهداية الخلق، وأن يعبدوا ربهم حق عبادته.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ حَتَّىٰ يُعْبَدَ اللَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ** »(٢).

ومن مظاهر هذه الشعيرة أن الأمر بها واجب متحتم عند دعوة الإمام إليه.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا** »(٣).

وحذر النبي أن تضيع هذه الشعيرة الظاهرة، بالركون إلىٰ الدنيا.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّىٰ تَرْجِعُوا إِلَىٰ دِينِكُمْ** »(٤).

ولذا كانت هذه الشعيرة (الظاهرة) صالحةً، عند الحاجة إليها في كل زمان ومكان.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ** »(٥).

لكن مع هذا كله لا يكون المؤمن محباً للقاء العدو.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ**»(٦).

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٢١٠٤)، وإسناده حسن.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٥١١٤)، وإسناده حسن لغيره.

(٣) خ (٢٦٣١)، م (١٣٥٣).

(٤) أخرجه أبو داود (٣٤٦٢)، وإسناده يحسن لغيره لشواهده.

(٥) خ (٢٦٩٥)، م(٩٨٧)، وقد بوب له البخاري في جامعه بقوله: باب الجهاد ماض مع البر والفاجر؛= = لقول النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الخيل معقود ... » (٢٦٩٧)، وروي: «الجهاد ماض »، من قول النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكنه لم يصح، لعدم سماع مكحول من أبي هريرة، وشاهد عن سعيد بن منصور (٢٣٦٧) ضعيف – أيضاً – .

(٦) خ (٢٨٠٤)، م (١٧٤٢).

المطلب الثالث

تعظيم إقامة ؟لحدود

إقامة الحدود شعيرة ظاهرة يجب القيام بها، لردع الباغي عن بغيه، وهو أمان لأهل الأرض من أن يقعوا في مثل ما وقع فيه صاحب الحد، ولذا أمر أن يحضر الرجم الناس، ويشاهدوا حتىٰ يكون رادعاً لهم، وفي إقامته خير لأهل الأرض.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حَدٌّ يُقَامُ فِي الْأَرْضِ، خَيْرٌ مِنْ مَطَرِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا**»(١).

(١) أخرجه النسائي (٤٣٦٠)، وفي سنده بُريد البجلي ضعيف، وله شواهد أخرىٰ، وهو بالجملة يرتقي بشواهده.

المبحث الثالث

تعظيم شعائر الفطرة الظاهرة

المطلب الأول
إعفاء ؟للحية

إن مما دعت الفطرة للرجال إعفاء اللحىٰ، وهو (الإعفاء) شعيرة ظاهرة تدل علىٰ الإسلام وتمسك أهله به.

وقد دعا إليها الشارع، وحث علىٰ توقيرها مخالفة للمشركين والمجوس.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**انْهِكُوا الشَّوَارِبَ وَأَعْفُوا اللِّحَىٰ**»[1].

وقال: «**جُزُّوا الشَّوَارِبَ وَأَرْخُوا اللِّحَىٰ خَالِفُوا الْمَجُوسَ**»[2].

---

(١) خ (٥٥٥٤).

(٢) م (٢٦٠).

المطلب الثاني
؟لحجاب [1]

إن مما تتحلىٰ به المرأة المسلمة حجابها، وعفافها، وحياءها ولذا كانت محافظة المرأة علىٰ حجابها شعار ورمز لأهل الإسلام، جاءت الشريعة بحث المرأة عليه دلالة علىٰ الستر والعفاف، وإظهاراً لشعار الإسلام.

لذا امتدحت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهُا نساء الأنصار في سرعة استجابتهم لنداء الله بالحجاب.

وهذا منهن من تعظيم شعائر الله الظاهرة التي أمر الله بها النساء [2].

---

(١) المرأة جبلت علىٰ العفاف، والحياء، والحشمة، وهذا هو الأصل فيها، ولذا كان حجابها إنما هو دليل علىٰ حشمتها وعفافها، وهو في نفس الأمر عبادة، ينبغي علىٰ المرأة أن تستشعر هذا عند ارتدائها له.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٥٥٩٢)، وأبو داود (٤١٠٠). وهو صحيح الإسناد.

الفصل الثالث

مسائل متعلقة بالشعائر

وفيه أربعة مباحث:

| المبحث الأول: ارتباط الشعيرة بالرمز.
| المبحث الثاني: تعطيل الشعائر.
| المبحث الثالث: تعظيم الله ورسوله في نفوس الصحابة.
| المبحث الرابع: الوسائل لتعظيم الشعائر.
| المبحث الخامس: الآثار المترتبة على تعظيم الشعائر.

المبحث الأول

ارتباط الشعيرة بالرمز

مر سابقاً أن بعض الشعائر ترتبط بالرمز.

وتكون رمزاً لتوحيد الله وعبادته، وإقامة شرعه علىٰ الأرض.

وذلك مثل الطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة، والوقوف علىٰ إرث الأنبياء في المناسك.

وهذه الشعائر هي رموز، لكن ليس ذلك تعظيماً لذاتها، بل هو دليل علىٰ تعظيم الله، وهو الذي أمر بتعظيمها، وتعظيمها يدل علىٰ تعظيم الله عز وجل.

ولذا لما فهم عمر أن الكعبة وما فيها شعيرة ظاهرة، ورمز يجب تعظيمه، بما عظمه الله ورسوله، قال: «**وَاللهِ إِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ**»[1].

ولذا أمر الله بتطهير البيت للطائفين من كل شيء، حتىٰ يتمكن العبد من تجريد التوحيد لله عز وجل وحده بالطواف، وليكون ذلك تعظيماً لهذا الرمز.

(١) خ (١٥٢٠)، م(١٢٧٠).

المبحث الثاني

تعطيل الشعائر

إن أهمية الشعائر الظاهرة في الإسلام وظهورها وإعلانها حُكمٌ بالدين؛ لكن قد يحصل ما يخل بهذه الشعائر وتُعطل عن العمل بها وإظهارها، وحين ذلك يختلف الحكم باختلاف العمل المتروك، فمن ترك الشعيرة الظاهرة (الأذان) ترك ما بعدها، وما هو أهم منها، وهو (الصلاة).

ولذا أمر النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقتال أهل البلدة وغزوهم إذا حضر ولم يرفع النداء للصلاة.

قال أنس: «**كَانَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا غَزَا بِنَا قَوْمًا لَمْ يَكُنْ يَغْزُو بِنَا حَتَّىٰ يُصْبِحَ وَيَنْظُرَ فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا كَفَّ عَنْهُمْ وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا أَغَارَ عَلَيْهِمْ**»[1].

فلما عطلت الشعيرة الظاهرة أمر بقتالهم.

ولما تعطّلت إقامة الحدود في الأرض؛ فإن الأمة قد ذهب الخير عنها، لأنها لا تأخذ علىٰ يد السفيه.

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حَدٌّ يُقَامُ فِي الْأَرْضِ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُمْطَرُوا أَرْبَعِينَ صَبَاحًا**»[2].

وإذا عُطلت المساجد من إقامة الجماعات والجمع فيها، عُطلت شعيرة ظاهرة، بنيت لأجلها مساجد الله وبيوته، وإقامة ذكره فيها.

لذا اهتمَّ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحَطَبٍ فَيُحْطَبَ ثُمَّ آمُرَ بِالصَّلَاةِ فَيُؤَذَّنَ لَهَا ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيَؤُمَّ النَّاسَ ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَىٰ رِجَالٍ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ**»[3].

إن تعطيل الشعائر دليلُ استخفافٍ واستنقاصٍ بها، وهذا دليل علىٰ ضعف الإيمان بالله والتعظيم له.

---

(١) خ (٥٨٥).
(٢) أخرجه النسائي (٤٣٦٠)، وقد مر.
(٣) خ (٦١٨)، م (٦٥١).

المبحث الثالث

تعظيم الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نفوس الصحابة

من يقرأ حياة الصحابة وتربية النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم، يرىٰ أن تعظيم الله وإجلاله، وتعظيم رسوله وتوقيره = كان السائد لهم، كيف؟ والذي رباهم هو أعظم الخلق معظماً لله عز وجل، والعبد لا يعظم الله ورسوله إلا إذا كان في قلبه من الإيمان ما يخرج تعظيم ومحبة غير الله ورسوله منه.

ولقد ضرب الصحابة في ذلك أروع الأمثلة في التعظيم، واستشعاره في نفوسهم.

لذا كان تعظيم الله ورسوله أعظم وأجل العبادات القلبية، إذ هو القائد علىٰ فعل الطاعات، وترك ما يغضب الرب، لأن العبد يستشعر عظمة الله عز وجل ورسوله فيكف عن ذلك.

إن روح العبادة هو الإجلال والمحبة، والإيمان بالله مبني علىٰ تعظيمه سبحانه وتعالىٰ.

«رَأَىٰ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ، فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ، وَقَالَ: يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ؟

فَقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُذْ خَاتِمَكَ انْتَفِعْ بِهِ قَالَ لَا وَاللهِ لَا آخُذُهُ أَبَدًا وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[1].

(١) م (٢٠٩٠).

المبحث الرابع
الوسائل لتعظيم الشعائر

تبين مما سبق ذكره أن الوسائل المعينة علىٰ تعظيم شعائر الله هي:

١- استشعار عظمة الرب، وأنه الخالق المدبر للكون، المالك له، السيد، وأنك مخلوق لعبادته وطاعته، فلا يحق لك أن تخالف أمره.

٢- الحياء من الله حق الحياء؛ لأن المرء إذا لم يستح فلا يكون هناك تعظيم لله سبحانه وتعالىٰ. ولذا قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ**»[1].

٣- قوة الإيمان في القلب قائدٌ إلىٰ تعظيم الله عز وجل وشعائره، وهي دليل علىٰ امتلاء القلب بمحبة الله وإجلاله، فلا يصدر عن المرء إلا ما يرضي الرب عز وجل.

٤- استشعار مراقبة الله للعبد في خلواته وجلواته، وأن الله مطلع عليه، وهذا يبعث في القلب خشية الله والخوف منه.

---

(١) خ (٣٢٦٩).

المبحث الخامس
الآثار المترتبة على تعظيم الشعائر

١- إن تعظيم الله عز وجل وشعائره سبب لتقوىٰ الله تبارك وتعالىٰ.
٢- امتلاء القلب بالإيمان بالله، والخضوع له، لعلمه أن من يعظمه إنما هو سيده ومولاه، وهو عبر حقير ضعيف.
٣- إن من الآثار التي تترتب علىٰ تعظيم الله وشعائره فعل ما أمر الله به من الطاعات، وترك ما نهىٰ عنه من المنكرات، بقدر ما في قلبه من تعظيم لله عز وجل وشعائره.
٤- إن تعظيم الله ورسوله يُعلِّم الانقياد والطاعة والتسليم له، بلا بحث عن أسباب أو علل، بل هو التسليم والإذعان له.
٥- سبب لرفعة الدرجات في الجنان، وأن العبد مهما بالغ في تعظيم الرب فهو مقصر في حق سيده ومولاه.

الخاتمـــــــة

وتشتمل علىٰ:

أهم النتائج:

١- إن الغاية من تعظيم شعائر الله تعظيم الله تعالىٰ، إذ هي الغاية العظمىٰ من تعظيم الشعائر، وتعبيد الناس لله وحده لا شريك له.
٢- إن الجهل بدين الله عز وجل، وقلة العلم، وعدم ذكر نِعَم الله علىٰ المرء يجعل غياب تعظيم الله وشعائره هي السمة عنده.
٣- إن الله حافظ دينه من التبديل والتحريف، وقد جعل أسباباً لحفظها منه: تعظيم الشعائر في نفوس العباد.
٤- إن أهم ما يعظم الشعائر الظاهرة: تفضيل الخلطة علىٰ العزلة، لشهود شعائر الله الظاهرة.
٥- إن الدين باقٍ ببقاء المحافظة علىٰ تعظيم شعائر الله في النفوس.
٦- كلما كانت الشعيرة أعظم كان التعظيم لله فيها أكبر وأعظم.

أهم التوصيات:

١- قراءة النصوص الشرعية التي تدل علىٰ وجوب تعظيم الرب – سبحانه وتعالىٰ – لكي يستقر في القلب محبة الله وإجلاله وتعظيم شعائره.
٢- قراءة سير الصحابة والسلف الصالح، في تعاملهم مع تعظيم الله وشعائره الظاهرة.
٣- تذكير الناس بهذا الأصل المهم وهو تعظيم الله وشعائره في النفوس، وبذلك تستقيم أحوال الناس.

المصادر والمراجع

١- إبراهيم أبو الأنبياء: لعباد محمود العقاد. نهضة مصر: القاهرة. الطبعة الأولىٰ.
٢- الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر. تحقيق: علي محمد البجاوي. الطبعة الأولىٰ. تصوير نهضة مصر: القاهرة.
٣- البداية والنهاية: لابن كثير. تحقيق: د. عبدالمحسن التركي . الطبعة الأولىٰ (١٤١٧هـ). دار هجر: الجيزة، مصر.
٤- تعظيم قدر الصلاة: لمحمد بن نصر المروزي. تحقيق: عبدالرحمن الفريواني. الطبعة الأولىٰ (١٤٠٦هـ). مكتبة الدار: المدينة المنورة.
٥- تقريب التهذيب: لابن حجر العسقلاني. تحقيق: أبي الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني. الطبعة الأولىٰ (١٤١٦هـ). دار العاصمة: الرياض.
٦- جامع الأصول في أحاديث الرسول: لابن الأثير الجزري. تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط. الطبعة الأولىٰ (١٣٩٢هـ). مكتبة الحلواني ومطبعة الملاح ومكتبة دار البيان: بيروت.
٧- الجامع المختصر من السنن ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل: لأبي عيسىٰ محمد بن عيسىٰ بن سودة الترمذي. تحقي: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبدالباقي، وإبراهيم عطوة. تصوير: دار إحياء التراث العربي: بيروت.
٨- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسننه وأيامه: للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري. الطبعة الأولىٰ (١٤٢٤هـ). دار المنهاج: جدة.
٩- السن: سعيد بن منصور. تحقيق: د. سعد بن عبدالله بن عبدالعزيز آل حميد. الطبعة الأولىٰ (١٤١٤-١٤١٧هـ. دار الصميعي: الرياض.
١٠- السنن الصغرىٰ (المجتبىٰ): لأحمد بن شعيب بن علي النسائي. ترقيم عبدالفتاح أبو غدة. تصوير: مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.
١١- السنن الكبرىٰ: لأحمد بن شعيب بن علي النسائي. تحقيق: شعيب الأرناؤوط. الطبعة الأولىٰ (١٤١١هـ). مؤسسة الرسالة: بيروت.
١٢- السنن: لابن ماجه. تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي. الطبعة الأولىٰ (١٤١٩هـ).
١٣- السنن: لأبي داود السجستاني. تحقيق: عزت عبيد الدعاس، وعادل السيد. الطبعة الأولىٰ (١٣٨٨هـ). دار الحديث: بيروت. (وهي المعتمدة من أول النص إلىٰ الحديث رقم ٤٠٤).
١٤- صحيح الجامع الصغير وزيادته: لناصر الدين الألباني. الطبعة الثالثة (١٤٠٨هـ). المكتب الإسلامي: بيروت.
١٥- الطبقات: محمد بن سعد الزهري. تحقيق: د. محمد علي عمر. الطبعة الأولىٰ (١٤٢١هـ). دار الخانجي: القاهرة.
١٦- العظمة: لأبي الشيخ الأصبهاني.تحقيق: رضا الله المباركفوري. الطبعة الأولىٰ (١٤٠٨هـ). دار العاصمة: الرياض.
١٧- العلل: للدارقطني. المطبوعة. تحقيق: محفوظ الرحمن زين الدين السلفي.الطبعة الأولىٰ (١٤٠٥هـ - ١٤٠٦هـ). دار طيبة: المدينة.تحقيق: محمد بن صالح الدباسي. (١٢-١٦). الطبعة الأولىٰ (١٤٢٧هـ). دار ابن الجوزي: الدمام.
١٨- عون المعبود شرح سنن أبي داود: لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي. الطبعة الثالثة (١٣٩٩هـ). دار الفكر: بيروت.

١٩- فتح الباري بشرح صحيح البخاري: لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني. تحقيق: محب الدين الخطيب، وراجعه قصي محب الدين الخطيب. الطبعة الأولىٰ (١٤٠٧هـ). دار الريان للتراث: القاهرة.
٢٠- فضائل الصحابة: لأحمد بن محمد بن حنبل. تحقيق: وصي الله محمد عباس. الطبعة الأولىٰ (١٤٠٣هـ). دار العلم للطباعة: جدة.
٢١- كتاب رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم – دراسة: حمد بن إبراهيم العثمان – الطبعة الأولىٰ (١٤١٢هـ). مكتبة الذهبي: الكويت.
٢٢- لسان العرب: لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري. دار صادر: بيروت.
٢٣- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف: لابن رجب الحنبلي. تحقيق: ياسين محمد السواس. الطبعة الأولىٰ (١٤١٣هـ). دار ابن كثير: دمشق.
٢٤- مختار الصحاح: للرازي. تحقيق: محمود خاطر. الطبعة الأولىٰ (١٤١٥هـ). مكتبة لبنان: بيروت.
٢٥- المستدرك: للحاكم، الطبعة الأولىٰ (١٣٣٤هـ). دار المعارف العثمانية: الهند. تصوير: دار المعرفة: بيروت.
٢٦- المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي. تصوير دار الحديث: القاهرة (١٤١٢هـ).
٢٧- المسند: للإمام أحمد بن حنبل: تحقيق: شعيب الأرناؤوط وجماعة. الطبعة الأولىٰ (١٤١٣هـ). مؤسسة الرسالة: بيروت.
٢٨- المصنف: لابن أبي شيبة.تحقيق: عامر الأعظمي، ومختار الندوي. الطبعة الأولىٰ (١٤٠١هـ). الدار السلفية: الهند.
٢٩- المصنف: لعبدالرزاق بن همام. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. الطبعة الأولىٰ (١٣٩٠هـ). المكتب الإسلامي: بيروت.
٣٠- مسند إسحاق بن راهويه. تحقيق: د.عبدالغفور بن عبدالحق البلوشي. الطبعة الأولى (١٤١٢هـ). مكتبة الإيمان: المدينة المنورة.
٣١- معالم السنن (شرح سنن أبي داود): لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي. (مع مختصر سنن أبي داود للمنذري، وتهذيب ابن قيم الجوزية). تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد حامد فقي. الطبعة (١٤٠٠هـ). دار المعرفة: بيروت.
٣٢- المعجم الأوسط: لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب = الطبراني. تحقيق: طارق عوض الله وأبو الفضل عبدالمحسن الحسيني. الطبعة الأولىٰ (١٤١٥هـ). دار الحرمين: القاهرة.
٣٣- المعجم الكبير: للطبراني. تحقيق: حمدي السلفي. (ج١-٣) الطبعة الثانية. مطبعة الزهراء: الموصل. (ج٤ - إلىٰ آخر الكتاب) الطبعة الأولىٰ (١٣١٩هـ). الدار العربية للطباعة: بغداد.
٣٤- معرفة السنن والآثار: للبيهقي. تحقيق: د. عبدالمعطي قلعجي. الطبعة الأولىٰ (١٤١١هـ). جامعة الدراسات الإسلامية: باكستان، ودار قتيبة: دمشق، ودار الوعي، حلب، ودار الوفاء: القاهرة.
٣٥- مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. تحقيق: عبدالسلام محمد هارون. مطبعة البابي الحلبي: القاهرة.
٣٦- الموطأ: للإمام مالك بن أنس (رواية يحيىٰ الليثي، وهي المقصودة عند الإطلاق). تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.تصوير: دار إحياء التراث العربي: بيروت.